العرب
الإثنين 2020/07/20
السنة 43 العدد 11767

شاب يستشرف المستقبل يقع ضحية نبوءته

«إرادة» فيلم عن جدوى الهروب من المصير والقدر

تبرز قضية القضاء والقدر والمصير كتحديات إشكالية تواجه الوجود البشري منذ وجد على وجه الأرض، ولكنها في سينما الخيال العلمي تكتسب شكلا آخر، إذ هي قضية أقرب إلى المغامرة المحفوفة بالمخاطر والتحديات.

بوح مخيف

طاهر علوان
كاتب عراقي

لم تبتعد سينما الخيال العلمي كثيرا عن معالجة قضايا تشغل الوجود الإنساني وتشكل تحديًا له من دون أن يمتلك القدرة على إحداث أي تغيير مباشر فيها، لعل أبرزها ثيمة القضاء والقدر اللذين يتدخّلان بشكل أو بآخر في تحديد مصير الإنسان.

ويبدو أن المخرج توني دين سميث من جنوب أفريقيا قرّر خوض المغامرة إلى نهايتها في فيلم "إرادة" من خلال سيرة جيمس (الممثل الكندي توني دين سميث)، الذي تعترية لحظات مثل قصاصات ونثار من الصور المشوّشة، تريه ما سوف يحدث في المستقبل.

> الفيلم يعالج وفق سرد شاعري أنانية الإنسان وشراهته ودوافعه العدوانية في مقابل اللاجدوى إزاء المصير المحتوم

جيمس في وضع بائس بشكل عام، يبدو فقيرا وغير قادر حتى على دفع إيجار شقته بانتظام، ولهذا يلجأ إلى نوع من المقامرة من منطلق قدرته على الاستبصار وتوقّع الأحداث مسبقا وقبيل وقوعها.

ولهذا سوف يلجأ إليه زعيم عصابة لتمرير صفقة ألماس، بعدما اطمئن أن جيمس يمكنه أن يرى كيفية تسليم البضاعة إلى الشخص والمكان المحدّدين بسلام.

أطماع العصابة وتنبؤ جيمس بما هو آت ليسا كافيين للمضي بالأحداث إلى نهايتها الطبيعية، بل إن هنالك ما هو غير متوقّع ولا في الحسبان.

واقعيا يلجأ المخرج بمهارة إلى مزج وتداخل الخطوط السردية ببراعة ملفتة للنظر من خلال سلسلة أحداث تظهر بساطة جيمس ومأساة عيشه، فهو لا يريد بإرادته أن يرى شيئا من المستقبل. لكن ها هو في مواجهة قدره.

ها هو ينتشل فتاة اسمها أنجيلا (الممثلة ماكدا أبانوفيتش) من أيدي العصابة، ويكون ذلك سببا في تعارفهما، بينما يكون ذلك التعارف قضية قدرية لا بد منها بالنسبة إلى جيمس، لاسيما وأن نبوءته تقول إن أنجيلا سوف تشهد ساعة موته.

ومع فقدان المجوهرات التي كان عليه تسليمها تبدأ مرحلة أخرى في البناء الفيلمي، هي مرحلة الصراع المفضي إلى المصير المأساوي لجيمس.

لكن لنكتشف بعد حين قضية كارثية، وهي أن جيمس لم يكن سوى طفل موهوب التقطه باحث متعمّق في عبور الزمن هو إليوت (الممثل بيل مارتشانت) وطوّر قدراته بوصفه فأر تجارب.

لكن التحوّل في الأزمة سوف يدفع جيمس وأنجيلا إلى السفر قاصدين إليوت المتخصّص بقضية مصير جيمس، لكي ينقذه من حقيقة معرفته أن نهايته قادمة عمّا قريب.

وعندما يسأل إليوت جيمس: ولكن أين متّ؟ يكتشف أنه مات في منزل إليوت، ولهذا كان لا بد من فعل شيء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

قضية الموت والمصير في هذا الفيلم تحتل أهمية استثنائية، فضلا عن أنانية الإنسان وشراهته ودوافعه العدوانية في مقابل اللاجدوى واللاأمل التي تيحط بجيمس.

وتتضخم في هذه الدراما قضية الشره البشري، بينما يبدو جيمس وأنجيلا كائنين غريبين عن ذلك العالم، ولهذا تندهش أنجيلا لمجرد مشاهدتها غرفة بسيطة في فندق على الطريق، بساطة إنسانية متناهية تدفعها سريعا إلى فهم جيمس وإدراك المأساة التي يعيشها والعذابات التي عاشها منذ طفولته.

جيمس وأنجيلا هما ضحية ذلك العالم الغرائبي المجنون حيث ينسحقان تحت وطأة التنافس على الشر، وهو ما لا يجدانه ممكنا بالنسبة إليهما، ولهذا يمضيان في الهروب من قدرهما. لكن ذلك القدر يكون في انتظارهما.

لا يجد البروفيسور إليوت بديلا من حقن جيمس وإعطائه جرعة لا يفيق منها، إلّا وقد ذهب إلى زمن ماض آخر، وذلك في مسعى لتغيير الأقدار عن مسارها، خاصة وهو يشهد مقتل أنجيلا من دون أيّ ذنب بعدما ضحت من أجله وآمنت به ودافعت عنه.

لم يبق أمام جيمس سوى قلب الزمن، ولهذا سوف نعود في سلسلة من المشاهد إلى الوراء وتتوازى أفعال شخصيتي جيمس في صراع إنساني متفجّر حتى تتكامل أمامنا شعرية للسرد السينمائي جوهرها قضية قدرية وإنسانية.

الحاصل أن عنصر الزمن يلعب دورا بالغ الأهمية في هذا الفيلم، فهناك تشابك خلاق في السرد الفيلمي تم فيه توظيف المونتاج بشكل مميّز، ممّا أتاح انسيابية في الأحداث وتتابعا أضفى عليهما جيمس وأنجيلا جمالية أعمق من خلال أدائهما المميز. وبسبب انهماكنا في عنصر الزمن، تغاضينا عن المكان وارتباطه مع الشخصيات بالتزامن مع مساحة المغامرة وشاعرية السرد التي ميّزت هذا الفيلم.

وإذا توقفنا عند شخصية جيمس، فهي شخصية العناء وهو الموهوب منذ الصغر، ولكن أيّ موهبة تلك التي تجعله يرى مقتل أمه في حادث تصادم سيارة وقد رسم المشهد من دون أن يعلم أنه يجسّد الفاجعة.

دفتر الرسم الطفولي يصبح بمثابة سجل شاهد على تاريخ وحياة وتنبؤات، فحتى أنجيلا تجد نفسها وهي مزروعة هناك في ذلك الدفتر، لأن جيمس يكون قد رآها في خياله بجميع تفاصيلها وملامحها.

على أن إشكالية الزمن التي لا تتاح بالجودة الكافية في الكثير من الأفلام بسبب ضعف طريقة معالجتها، تبدو في فيلم "إرادة" شديدة التماسك، ومثالنا على ذلك الانتقالات الزمانية التي يمثلها البروفيسور إليوت منذ شبابه إلى خريف العمر، وهو لا يزال يتنقل في مساحة المغامرة ومحاولة تغيير القدر والنصيب. ولكن من دون جدوى.

مسرحي فرنسي يراوغ الحجر بعروض من شرفة بيته

لئن خضع بعض رجال المسرح للصّمت الذي فرضته الأزمة الصحيّة فإن آخرين ابتكروا طرقا غير مسبوقة للتواصل مع جمهورهم. وهذا ما فعله توما جولّي مدير المسرح الدرامي بمدينة أنجي الفرنسية، الذي افتتح موسم "رصيف الصّيف" بمسرحية تستجيب للشروط الصحية.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

بعد إلغاء مهرجان أفينيون، وسائر العروض المسرحية في كامل التراب الفرنسي، لا يزال أهل المهنة يبحثون عن حلول ذكية يحافظون بواسطتها على جمهورهم، مع مراعاة شروط التباعد الاجتماعي.

وبعد روبير بلانيول، الذي أنشأ موقعا على شبكة التواصل الاجتماعي يعرض فيه أسبوعيا، مباشرة من بيته، آخر مسرحياته، هذا مخرج مسرحيّ آخر هو توما جولّي، الذي عيّن على رأس المسرح الوطنيّ الدرامي بمدينة أنجي منذ ثلاثة أشهر فقط، أي عند اندلاع الأزمة الصحيّة، يهتدي إلى طريقة مماثلة، ولكن دون اللجوء إلى التقنيات الحديثة، إذ قام بأداء مشهد من "روميو وجولييت" من شرفة بيته، أمام مجموعة من جيرانه، في شرفاتهم هم أيضا، وبعض المارّة والمزوّدين.

وبعد أن استحسن السّكان هذه البادرة، قرّر مواصلة التجربة بالاستعانة بعدة فرق جهوية ووطنية تؤدي عروضها بعيدا عن الخشبات التقليدية، أي في أماكن محددة من المدينة كالسوبر ماركت، ومآوي السيّارات وخارج أسوارها، وحتى في أماكن متفرقة من محافظة مين إي لور، كالضّيعات والأديار.

وقد أعدّ خمس عشرة مسرحية موزعة على ما يزيد عن مئة عرض، تتواصل من 15 يوليو الجاري إلى نهاية أكتوبر المقبل. وقد اختار أعمالا تستجيب لواقع الحجر والتباعد الاجتماعي، مثل "مهمة عسيرة" لهانوخ ليفين، عن زوجين يعيشان الحجر معا منذ ثلاثين عاما.

ومن الأعمال التي افتتح بها نشاطه قبل أن يمرّ إلى العروض الموسمية التي أطلق عليها اسم "رصيف الصّيف" مسرحية قصيرة للكاتب الأرجنتيني راوول بوطاتا الشهير بـ"كوبي" (1939–1987) بعنوان "ليلة مدام لوسيان"، وقد وقع اختياره عليها لأن أحداثها تدور في مسرح فارغ، ولأنه وجد جانبا فارغا من مسرح أنجي مخصّصا للإمدادات والتزويد يلبي حاجته.

لا يتخيل المتفرّج، وهو يشاهد عملا مسرحيا ناجحا، أن الأبطال الذين أبهروه بأدائهم المتميز على الخشبة لا يحب بعضهم بعضا، وربما يكره بعضهم بعضا حدّ الرغبة في التخلص من هذا أو ذاك، ولو رمزيا، كالسعي إلى حرمانه من دور ما، أو إقصائه عن المجموعة، وهذا كله لا يراه المتفرج، ولكنه حقيقة، ليست عامة لا محالة ولكنها موجودة في كل الأنشطة الجماعية، لاختلاف الطبع والأمزجة والسلوك والتربية.

وهذا ما أراد كوبي إبرازه في "ليلة مدام لوسيان"، فهي باروديا عن حياة الممثلين في الكواليس، ومسرح داخل المسرح، حيث تتوالى المواجهات والخصومات ومظاهر الحقد، وتتبدّى المواقف اليومية وما يتخللها من تعاطف وتنافر، وتآلف وتخاصم حدّ الكراهية.

وكوبي، لمن لا يعرفه، هو فنان أرجنتيني اضطر أهله إلى هجرة بوينس أيرس والعيش في هايتي بعد أن قرّر النظام آنذاك نفي أبيه عقابا له على نشاطه السياسي في المعارضة. انتقل الشاب بوطانا إلى نيويورك ثم إلى باريس عام 1963 حيث عمل رساما في مجلة "نوفال أوبسرفاتور"، ثم في جريدة "هارا كيري" الساخرة، التي ستتخذ لاحقا اسم "شارلي هبدو" وصار يوقّع رسومه الساخرة باسم كوبي.

وبفضل مداخيله من الرسم، أمكن له الانصراف إلى تأليف الروايات ومتابعة دروس في المسرح، شغفه الحقيقي، صحبة الشيلي من أصل روسي أليخاندرو جودوروفسكي والفرنسي جيروم سافاري الذي كان أول من بدأ يهتم بمسرحيات صديقه كوبي، قبل أن يخلفه الأرجنتيني خورخي لافيلّي، أوّل من أخرج "ليلة مدام لوسيان" في مهرجان أفينيون عام 1985.

وتحوم أعمال كوبي سواء في مسرحياته أو في رواياته حول فكرة العزلة والعنف والجزع والموت، ولكنه يعالجها بأسلوب ساخر، فالموت يصخب من وراء أقنعة الحمى الكرنفالية، فما يراه المشاهد لا يعكس حقيقة ما يجري تحت الأقنعة. وكما هو الشأن مع الكرنفالية، يتحدّى كوبي الأعراف والأنماط والرموز، وكأنه يستهزئ بشكل سريالي بالموت والقدر والمصير، حتى عندما أدرك أنه مصاب بالإيدز.

> جولّي اختار أعمالا تستجيب للتباعد الاجتماعي، مثل «مهمة عسيرة»، عن زوجين يعيشان الحجر معا منذ ثلاثين عاما

هذه المسرحية كما يدل عليها عنوانها، "ليلة مدام لوسيان" تدور أثناء الليل في مسرح مهجور، حيث يلتقي قبل العرض الأول مؤلف وممثلة وآلاتي (مكلّف بتركيب آلات المسرح وتفكيكها) للتمرّن على مسرحيّة سريالية لا تزال تستعصي عليهم، تحت أنظار ممثلة مشوّهة الخلقة.

وأثناء التمرّن الذي يتخلله التدخين والشرب والتعاليق الخارجة عن النص، يحتدّ الجوّ وتتوتر الأعصاب، لاسيما بعد تلقي مكالمات هاتفية غريبة، قبل أن يتم اكتشاف جثة عاملة التنظيف مدام لوسيان.

من القاتل؟ ومن هي تلك الممثلة المشوّهة؟ لا جواب، لأن الحقيقة تنفلت من بين أيدي الجميع، والواقع هو غير ما نتصوّر، حيث يصبح المسرح فضاء معقدا، فلا نستطيع التمييز بين المسرح والواقع، أيهما نحن بصدد مشاهدته. المسرحية أم مصرع مدام لوسيان، وهل هي شخصية حقيقية، أم أن المؤلف أقحمها داخل العمل المسرحي، ما يعني أن موتها هو أيضا تمثيل؟

هو نصّ يستكشف في سخرية الوجه الآخر للعمل المسرحي، أي ما يحدث خلف الكواليس، وراء الخشبة والديكور، وما يتضمنه من فقدان للمعالم والرموز.

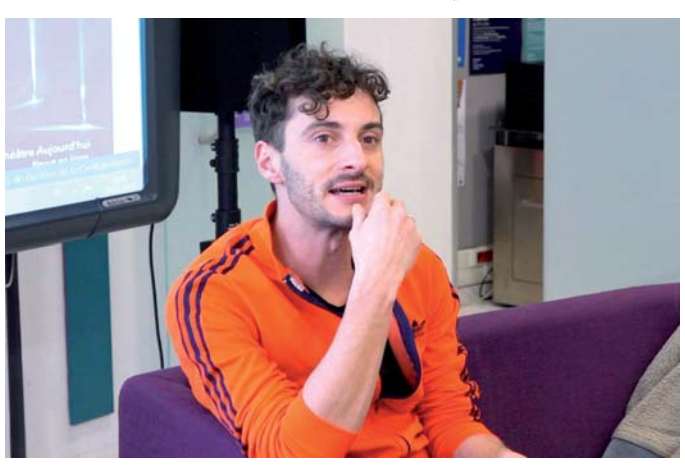

عروض تستجيب للشروط الصحية

الفتنة في وحشتها

فاروق يوسف
كاتب عراقي

دائما يمكن الحديث عن الفنان التونسي حاتم المكي (1918–2003) بطريقة مختلفة. ذلك الرسام الذي شكّل ظهوره فاتحة جديدة للرسم الحديث في تونس، كان تفكيره في الرسم بمثابة فاصلة بين عهدين. عهد هيمنت فيه جماعة مدرسة تونس على المشهد الفني وعهد تلاه كان ملعبا للرسامين المشاغبين، المتمرّدين على النظريات التي تربط الحداثة بالمحلية.

فبالرغم من أن المكي كان عضوا في جماعة مدرسة تونس، فإن رسومه لم تكن تعكس الطريقة التي كان يفكرّ من خلالها رسامو تلك الجماعة. هناك شيء مختلف يمكن العثور عليه في تربيته الشخصية. فالرسام الذي ولد في جاكرتا من أب تونسي وأم إندنوسية وعاش جزءا من طفولته في جزيرة جاوا كان متحرّرا من سلطة الواقع المحلي.

لقد أعادتني رسومه حين اطلعت عليها إلى شرق شخصي متخيل. هو ليس شرق الحكاية بل الشرق الوحوشي الذي تنبض خطوطه بتعبير ضارب في عمقه. ذلك ما أكّدته لوحة خطية صغيرة منه رأيتها مؤخرا ليست معروفة غير أنها يمكن أن تمثل خلاصة فنه.

تلك اللوحة تصوّر بورتريه لشخص ما. سبق للمكي أن رسم صورا شخصية بأسلوبه الخشن الفريد من نوعه. غير أن تلك اللوحة التي رأيتها مؤخرا كانت اكتشافا عظيما لأسلوب المكي بالنسبة لي.

بالتأكيد لم يكن الوجه مقصودا لذاته بقدر ما كان المقصود البحث عن قوة التعبير في الخط. شيء ما يتعلق بالانفعال. تلك محاولة تذكر بفنسنت فان غوخ الذي لا يمكن الفصل بين شرايين يده والخطوط التي تظهر على سطوح لوحاته.

رسم المكي بطريقة مختلفة وهو ما كان مطلوبا منه باعتباره رساما مجددا، غير أن تلك اللوحة الصغيرة قد تمثل الجانب الأكثر وضوحا في ذلك الاختلاف.

من خلالها مزج المكي الخشونة بالرقة بطريقة يشعر المرء معها كما لو أنه يواجه الرثاء والهجاء معا. يحتاج المرء إلى فهم الألم من أجل أن يرى تلك اللوحة. غضب ولعنة ممتزجان في ألفة تقع مرة واحدة.

في لوحة صغيرة وبزهد عال بالمواد عرف المكي كيف يلخّص تجربته الفنية كلها.

في اللوحة البورتريه مزج المكي الخشونة بالرقة بطريقة يشعر المرء معها كما لو أنه يواجه الرثاء والهجاء معا.